الاسلاميات التطبيقية في فكر محمد أركون:
الأنسنة والتأويل الديني و السلطة

أطلَّ المشروع الفكريّ لمحمَّد أركون على مساحة واسعة من الموضوعات شملت الإسلاميات المطبقة، ونقد العقل الإسلامي، وقراءة في النص الديني، والنزعة الإنسانية في الإسلام، وجدلية الدين والسلطة، وغير ذلك من موضوعات. وعلى الرّغم من شساعة المجالات المدروسة وتنوُّعها فإنّ محمَّد أركون جعلها تحتكِم إلى استراتيجية معرفية تضْهرُها في مشروعٍ علميٍّ جامعٍ.

تقومُ الاستراتيجيَّة المعرفية في المشروع العلمي لأركون على عناصرَ خمسةٍ كبرى مَثَّلَت مجالاتِ الاشتغال الرئيسة. أوَّل تلك العناصر نقدُ الدراسات الإسلاميَّة الكلاسيكيَّة بتوسل عُدَّة العلوم والمعارف الحديثة، وفي هذا السياق دعا أركون إلى تأسيس إسلاميَّاتٍ تطبيقيَّة تنهضُ بهذه المهمَّة. وثانيًا، نقد العقل الإسلاميّ عن طريق تفكيك النظام المعرفيّ الحاكم له، واستجلاء ما للنص الديني ومدوَّنات تفسيره من سُلطانٍ في تَكوينه.

يقوم العنصر الثالث في الاستراتيجية المعرفية لمحمد أركون على إعادةُ قراءة القرآن من خلال العُلوم الحديثة، وذلك على صعيدٍ لسانيٍّ وسيميائيٍّ وأنثروبولوجيٍّ. ورابعُ تلك العناصر النّبش في التراث العربي الإسلاميّ عن جذور النّزعة الإنسانية فيه. وخامس العناصر وآخرها نقدُ الصِّلة بين الدين والسياسة في المجتمعات العربية والإسلامية.

تعود أهمية الاستراتيجية المعرفية لدى محمد أركون إلى تنوع مشارب الباحث الثقافية واللغوية التي مكنته من طرح أسئلة جوهرية مست التراث في شموليته بغرض تجديد الخطاب الفكري العربي الإسلامي،

وتخليصه من الأحكام المسبقة والنماذج الجاهزة والقوالب الفكرية الجامدة، ودراسته نقديا عبر مداخل منهجية تستلهم أسسها من العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة.

لم يتوان محمد أركون في توظيف النقد الأركيولوجي للكشف عن الثاوي وراء الأنساق المعرفية والسياسية والثقافية التي وجهت الوعي الجمعي العربي، فهو نقد للتراث من أجل إعادة البناء؛ أي التأسيس لفهم مغاير للفكر والثقافة منفلت من رهبة النصوص المقدسة، وذلك عبر استشكال العقل الديني الموجه بحس التاريخ والفلسفة كما الأنثروبولوجيا المقارِنة.

وظف محمد أركون مختلف إنتاجات العتاد المنهجي في العلوم الإنسانية من أجل تفكيك الأنساق الفكرية والثقافية، وتحديد الخلافات ذات المنحى الطائفي والعرقي التي أعاقت التطور وأفضت إلى الجمود، وذلك بتوليد مجال البحث في الإسلاميات التطبيقية التي استلهم آلياتها وتقنياتها من علم النفس والأنثروبولوجيا والفيلولوجيا والسوسيولوجيا وعلم الأديان المقارِن والتاريخ.

اعتنى مشروع محمد أركون بقضيتين اثنتين: الأولى فكرية، حيث اهتم أركون بالنصوص الفلسفية التراثية، وقد تخصص فيها دراسةً وترجمةً بعد أن توجه إلى المشروع الفكري لفيلسوف الأخلاق ابن مسكويه، وقد ترجم كتابه "تهذيب الأخلاق" من العربية إلى الفرنسية، وهيأ عملا يستحضر قضية الأخلاق في الثقافة العربية الكلاسيكية. أما القضية الثانية فهمت البعد العملي المتمثل في انشغال أركون كمفكر مغاربي بقضايا العالم الإسلامي، والمساهمة العلمية في إغناء النقاش الفكري بغرض تجاوز إكراهات واقع البحث العلمي في المجتمعات العربية والإسلامية، ودعوته الدائمة كمثقف إلى الانخراط المسؤول من أجل فهم هموم وقضايا هذه المجتمعات.